الفجر

العدد الخامس - تموز ٢٠١٣ - شعبان ١٤٣٤

شهر الحرية
الإمام حسن البنا

الممتحنة
حسام الغضبان

الولاء والبراء
يمامة الشهباء

الحسناوي.. الأديب الشاعر
يمان الحسناوي

الفجر

العدد الخامس - تموز ٢٠١٣ - شعبان ١٤٣٤

المحتوى

3 الافتتاحية

4 كلمات في النقد وحرية التعبير
سليم عبد القادر

6 جيل قرآني فريد
سيد قطب

9 رمضان والتغيير
د. عمر علي بادحدح

10 شهر الحرية
الإمام حسن البنا

12 الممتحنة
حسام الغضبان

14 الولاء والبراء
يمامة الشهباء

18 فتاوى
هيئة الشام الإسلامية

22 محمد الحسناوي الشاعر الأديب
يمان الحسناوي

26 دعوة للقراءة: خطوات الليل
الفجر

28 فيسبوك

29 فيض الذاكرة مع أبي الخير
عبد الكريم اليماني

30 مجاهد
سليم عبد القادر

31 هم يعشقون الموت
ظلال إبراهيم

32 إلى روح أبي الخير
معتصم الحريري

مجلة شهرية تصدر عن
مكتب الشباب في جماعة الإخوان المسلمين
في سورية

:: فريق التحرير

حسام الغضبان	رئيس التحرير
عمار يحيى الضايع	محرر
د. عامر الغضبان	محرر
أسامة السيد عمر	محرر
عبد الكريم اليماني	محرر
أسامة الشيدون	الطباعة والتوزيع
أنس حسين	الطباعة والتوزيع
منى السعيد	التسويق الإلكتروني

تصفح الفجر
www.alfajrmg.net

تواصل مع الفجر
alfajr.mg@gmail.com

تصميم وتنفيذ

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

ماذا خسرت مصر؟

:: التحرير

بينما كان هذا العدد من مجلة الفجر في المراحل الأخيرة من الإعداد حدث الانقلاب في مصر على الرئيس محمد مرسي، ولم تنته بعد تداعيات هذا الانقلاب، لكن ظهر أن أعداء الرئيس أجمعوا كيدهم وحزموا أمرهم، وأنهم الجهة التي تسيطر على مصر الآن.

ولا ريب أن نواتج هذا التحول سيكون فيها خسائر كثيرة خسرتها مصر والأمة من بعدها، ومن هذه الخسائر خسائر طويلة المدى، عميقة الأذى في واقع المجتمع وفاعلية دور الجماعة والتوجهات الإسلامية الأخرى في هذا المجتمع.

لن يكون من نتائج هذا التحول -والله أعلم- انخفاض في شعبية التيارات الإسلامية، بل ربما ترتفع شعبيتها إلى مستويات أعلى بكثير من السابق، لكن الخسائر ستكون في قدرة المجتمع على استجماع قدراته وتنظيم نفسه وتحقيق الإنجازات بالوجهة التي توافق انتماءه وتحقق هويته وتنصر قيمه.

وربما يكون المجتمع مهدداً بتأثير قوى الهدم، ووجود تحالفات جديدة معادية بين فئات اجتماعية تتبع الأجنبي أو تنساق من وراء الأهواء والشهوات أو تنتصر بالظلم والظالمين، لذلك ليس مستبعدا أن تكثر الفتن، وتعم الفوضى، ويعود لعصابات الإجرام دور في التحكم بالعباد مع غياب دولة القانون، واستقرار سلطة الظالمين وتعمق فساد المفسدين.

ومن الخسائر المحتملة أيضا خسارة المجتمع لفعالية أفراده، وعودة ظاهرة المواطن الغائب المغيب، بعد أن شعر الأفراد أن أمامهم أدواراً وواجبات عليهم أداؤها، وبعد أن رأينا المجتمع يعلن توجهاته ويعبر عن رغبته بالتغيير، ويحاول مواجهة مشكلاته التي برزت أمامه ظاهرة، وفي هذا الجو شعر أصحاب الرسالة وأئمة الدعوة أنهم بدؤوا بتطوير فكر التغيير بالارتباط مع صياغة الآليات العملية المعينة على النهوض والبناء.

إن غياب المواطن الإيجابي يمثل مشكلة لأصحاب الدعوة وقادة النهوض، لأن هذا الغياب يؤدي إلى ظهور الخطاب الدعوي بشكل بعيد عن الواقع، قد يقر الجمهور بجمال هذا الخطاب، لكنه يتعامل معه، على شكل أحلام غير مرئية في الواقع، وغير متلائمة معه، لهذا يلزم الدعاة واجب تطوير هذا الخطاب لهذه المرحلة الجديدة، مع واجبات أخرى كثيرة في جهود الدعوة والبناء.

ولا نظن أن أحدا ينسى أننا نحتاج في تجربة الثورة السورية إلى كثير من التدبر والتفقه في مآل الثورة المصرية، الثورة السورية التي تحولت إلى ثورة مسلحة برزت فيها تحديات البحث في فقه الجهاد والسياسة الشرعية في وضع جديد وعصر مختلف، ولا بد أن أحداث مصر الأخيرة ستمدنا بعناصر جديدة مهمة جدا لا يمكن إغفالها في جهود التفقه والاجتهاد، وهي الجهود التي يجب أن لا تتوقف أو تؤجل مهما كانت ظروف اللحظة الراهنة ضاغطة، ونحسب أننا باستمرار هذا الجهد نمتثل لأمر الله تعالى في الآية الكريمة: «وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» [التوبة: ١٢٢].

كلمات في
النقد وحرية التعبير

:: سليم عبد القادر

قبيل فجر الرابع من حزيران الماضي، انتقل إلى رحمة اللّه تعالى شاعر الدعوة والجهاد سليم عبد القادر زنجير.. هذا الأديب الذي طالما استنهضت همم المجاهدين قصائده، وأثرت حكم الواعظين أبياته، وهذبت أخلاق الأطفال والكبار أناشيده.. رحمه اللّه تعالى.

وكان الشاعر الكريم قد شرّفنا بكتابة مقال للعدد التجريبي من مجلتنا الغراء هذه، لذلك ارتأينا إعادة نشر مقاله، الذي مع حسن سبكه وجودة عرضه، يعبّر عن الأخلاق السامية التي كان يفيض بها شاعرنا الكريم.. رحمه اللّه تعالى وأسكنه فسيح جناته

الحمد لله، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه وأتباعه.

أحد المفكرين قال: الدول تقوم بالعدل، وتستمر بالنقد..

إلى ما قبل ثورة (النت)، كان الرجل إذا أراد أن يعبر عن فكرة يحتاج إلى منبر، وكانت الكتابة في صحيفة مثلا، تحتاج إلى مواصفات في الكاتب، منها: جمال الفكرة وقوتها، واتساقها مع منهج الصحيفة، والتزامها أدب القول وسلامة اللغة.. إلى آخره.. من ثم، فلم يكن المنبر متاحا إلا للكبار).

اليوم، في عالم (النت)، أصبحت المنابر فوق الحصر، وصار عدد الكتّاب قريبا من عدد القراء.. واختلط الغثّ بالسمين، فالشبكة العنكبوتية تفتح أبوابها لكل طارق، وصرنا نقرأ على بعض المواقع ألوانا شتى ومستويات متباينة في الفكر والتعبير..في هذا السياق نود الإشارة إلى بعض النقاط التي نراها مفيدة وضرورية..

* إن حق التفكير، وحرية التعبير، من الحقوق المقدسة لكل إنسان. بل إن الإسلام قد ثبّت دعاوى المشركين والمنافقين وأقوالهم، وردّ عليها بالحجة. لا بالمنع أو القمع..

* هناك فرق بين حرية التعبير، وفوضى التعبير، وحرية الإساءة إلى الآخرين، كأشخاص أو هيئات أو أفكار..

* الكلمة مسئولية، ونقلها كذلك.. إن إتاحة الفرصة أمام حرية التعبير، لا تعني أن يقول المرء ما يحلو له ولو أساء إلى الآخرين بغير حق، أو افترى عليهم.. فإن فعل استخف به الناس، واستصغروه، وآذى نفسه وفكرته قبل أن يؤذي غيره.. فمن كان مرجعه الإسلام، لا ينبغي أن يغيب عن خاطره قول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: (رُبَّ كلمةٍ يقولها المرءُ لا يُلقي لها بالا يهوي بها في جهنّمَ سبعين خريفا)، وقوله: (هل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلا حصائدُ ألسنتهم)... ومن كان من الإخوان فليذكر أن من مبادئهم تجنّب التجريح بالهيئات والأشخاص.. ومن كان مرجعه الغرب وحضارته، فإن اتهام أحدهم رجلا أو هيئة بباطل هناك، قد يجره إلى محاكم وتعويضات لا طاقة له بها.

* في النقد خاصة، ينبغي ملاحظة الملابسات والظروف المصاحبة لواقعة ما.. أما النقد العام المنفلت من ضوابط المنطق، فلا قيمة له إلا كلون من التنفيس، وربما التعويض عن العجز والعطالة.. من السهل أن ننتقد الشعب السوري على سكوته على ظلم الطغاة مدة نصف قرن، ونهمل كثيرا من المعادلات .. من السهل أن ننتقد مواقف الإخوان في الثورة ونتصور أنهم قادرون على فعل كل شيء وأنهم لا يفعلون.. من السهل أن ننتقد موقف مصر من الثورة السورية، دون مراعاة لاعتبارات كثيرة، أولها أنها خارجة للتو من ثورة صعبة، وأنها ما تزال تلملم جراحها... من السهل أن ننتقد الإخوان وحماس وهذه الشخصية وتلك الهيئة.. لكن النقد ما لم يكن موضوعيا ملما بالظروف واعيا بالمعادلات الدولية والإقليمية سيظل نقدا رغائبيا، لا وزن له ولا قيمة.

* ليس من حرية التعبير أن يوافق الناس على ما أطرحه، وإلا فهم ضد حرية التعبير.. وضد الديمقراطية.. مثل هذا الفعل هو لون من (الترهيب الفكري) ولو ظنه صاحبه حرية تعبير.

* جدير بنا، ونحن نعبّر عن أفكارنا، ألا ننسى أحجامنا وأحجام الآخرين، وألا نتلذذ باصطياد ما نظنه (أخطاء) الكبار.. سمعت من صديق كان حاضرا أحد دروس الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، أنه سُئل عن الشهيد سيد قطب فأثنى عليه خيرا، فقام أحدهم وقال: ولكنه كان حليقا يا شيخ!؟ فأجابه الشيخ: سيد قطب كان حليقاً ولكنه كتب الظلال، وقدم نفسه في سبيل الإسلام.. وأنت لك لحية كبيرة، فماذا قدّمت للإسلام؟!..

في مجالات الحياة كلها هناك كبار: في الفكر والأدب والعلم والسياسة والفن والرياضة .. انتقاد هؤلاء لا يرفعنا كثيرا.. والسؤال الحق: ماذا فعلت أنا؟

إننا لا ندعو إلى منع النقد أو التعبير، ولكن إلى مسئوليته وموضوعيته. وأن يكون في حدود علمنا وأدب ديننا. وقد كان أحدهم يجلس في مجلس أبي حنيفة والشيخ يحترمه، ويلم رجله توقيرا له، حتى حكى فأظهر جهله، فقال الإمام قولته التي ذهبت مثلا: آن لأبي حنيفة أن يمدَّ رجله.

* أودّ ، أخيرا، أن أشير إلى ظاهرة انتشرت في النت، وهي تحويل الرسائل الجيدة والرديئة .. أما الجيدة فهذا عمل مشكور مأجور، وأما الرديئة فما الغاية من تحويلها؟ لنفرض أن أحد التافهين يسبني أو يسيء إلى مبادئي، فهل من الحكمة تحويل هذه الرسالة لي؟ أليس هذا أشبه بالنميمة؟ وإذا كان رجل يسب أبي في حي آخر، فهل من الذوق السليم أن تجرني من يدي إلى مكانه لأسمع شتيمته بأذنيّ فتكدّر صفوي ؟! قد تقول: يجب أن نعلم ما يقوله الناس عنا.. حسنا، هذا صحيح إذا كان الناقد ذا رأي وقيمة علمية أو سياسية، أما إذا كان فارغا حاسدا، أو جاهلا مكابراً، فإن متابعته إضاعة للوقت، وتعكير للمزاج. أرى أن الرسائل المحولة ينبغي أن تحوي علما أو رأيا أو موقفا أو أي شيء مفيد غير اللغو، و(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون).. إضافة إلى المسئولية الدينية والأخلاقية.. وفي قصة الإفك عتاب شديد من الله (إذْ تلقّوْنه بألسنتكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هيّنا، وهو عند الله عظيم).. حرية التعبير لا تنفصل عن كون الكلمة أمانة ومسئولية .. وهذا هو المعنى اللائق بمصطلح: حرية التعبير..

جيل قرآني فريد

سيد قطب

معالم في الطريق

هنالك ظاهرة تاريخية ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الإسلامية في كل أرض وفي كل زمان. وأن يقفوا أمامها طويلاً. ذلك أنها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهها.

لقد خرَّجت هذه الدعوة جيلا من الناس -جيل الصحابة رضوان الله عليهم- جيلاً مميزًا في تاريخ الإسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه. ثم لم تعد تخرج هذا الطراز مرة أخرى. نعم وُجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ. ولكن لم يحدث قط أن تجمَّع مثل ذلك العدد الضخم، في مكان واحد، كما وقع في الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة.

هذه ظاهرة واضحة واقعة، ذات مدلول ينبغي الوقوف أمامه، طويلاً لعلنا نهتدي إلى سرِّه.

إن قرآن هذه الدعوة بين أيدينا، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه العملي، وسيرته الكريمة، كلها بين أبدينا كذلك، كما كانت بين أيدي ذلك الجبل الأول، الذي لم يتكرر في التاريخ.. ولم يغب إلا شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل هذا هو السر؟

لو كان وجود شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم حتميًّا لقيام هذه الدعوة، وإيتائها ثمراتها، ما جعلها الله دعوة للناس كافة، وما جعلها آخر رسالة، وما وكّل إليها أمر الناس في هذه الأرض، إلى آخر الزمان.

ولكن الله سبحانه تكفل بحفظ الذكر، وعلم أن هذه الدعوة يمكن أن تقوم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبمكن أن تؤتي ثمارها. فاختاره إلى جواره بعد ثلاثة وعشرين عامًا من الرسالة، وأبقى هذا الذين من بعده إلى آخر الزمان.. وإذن فإن غيبة شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفسر تلك الظاهرة ولا تعللها.

فلنبحث إذن وراء سبب آخر. لننظر في النبع الذي كان يستقي منه هذا الجيل الأول، فلعل شيئا قد تغير فيه. ولننظر في المنهج الذي تخرجوا عليه، فلعل شيئا قد تغير فيه كذلك.

كان النبع الأول الذي استقى منه ذلك الجيل هو القرآن. القرآن وحده. فما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه إلا أثرًا من آثار ذلك النبع. فعندما سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: «كان خُلقه القرآن» [أخرجه النسائي].

كان القرآن وحده إذن هو النبع الذي يستقون منه، ويتكيفون به، ويتخرجون عليه، ولم يكن ذلك كذلك لأنه لم يكن للبشرية يومها حضارة، ولا ثقافة، ولا علم، ولا مؤلفات، ولا دراسات.. كلا! فقد كانت هناك حضارة الرومان وثقافتها وكتبها وقانونها الذي ما تزال أوروبا تعيش عليه، أو على امتداده. وكانت هناك مخلفات الحضارة الإغريقية ومنطقها وفلسفتها وفنها، وهوما يزال ينبوع التفكير الغربي حتى اليوم. وكانت هناك حضارة الفرس وفنها

وشعرها وأساطيرها وعقائدها ونظم حكمها كذلك. وحضارات أخرى قاصية ودانية: حضارة الهند وحضارة الصين إلخ. وكانت الحضارتان الرومانية والفارسية تحفان بالجزيرة العربية من شمالها ومن جنوبها، كما كانت اليهودية والنصرانية تعيشان في قلب الجزيرة.. فلم يكن إذن عن فقر في الحضارات العالمية والثقافات العالمية يقصر ذلك الجيل على كتاب الله وحده.. في فترة تكونه.. وإنما كان ذلك عن «تصميم» مرسوم، ونهج مقصود. يدل على هذا القصد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة من التوراة. وقوله: «إنه والله لو كان موسى حيًّا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني» [رواه الحافظ أبو يعلى].

وإذن فقد كان هناك قصد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقصر النبع الذي يستقي منه ذلك الجيل.. في فترة التكون الأولى.. على كتاب الله وحده، لتخلص نفوسهم له وحده. ويستقيم عودهم على منهجه وحده. ومن ثم غضب أن رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستقي من نبع آخر.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد صنع جيل خالص القلب. خالص العقل. خالص التصور. خالص الشعور. خالص التكوين من أي مؤثر آخر غير المنهج الإلهي، الذي يتضمنه القرآن الكريم.

ذلك الجيل استقى إذن من ذلك النبع وحده. فكان له في التاريخ ذلك الشأن الفريد.. ثم ما الذي حدث، اختلطت الينابيع.! صبت في النبع الذي استقت منه الأجيال التالية فلسفة الإغريق ومنطقهم، وأساطير الفرس وتصوراتهم. وإسرائيليات اليهود ولاهوت النصارى، وغير ذلك من رواسب الحضارات والثقافات. واختلط هذا كله بتفسير القرآن الكريم، وعلم الكلام، كما اختلط بالفقه والأصول أيضًا. وتخرج على ذلك النبع المشوب سائر الأجيال بعد ذلك الجيل، فلم يتكرر ذلك الجيل أبدًا.

وما من شك أن اختلاط النبع الأول كان عاملاً أساسيا من عوامل ذلك الاختلاف البيِّن بين الأجيال كلها وذلك الجيل المميز الفريد.

هناك عامل أساسي آخر غير اختلاف طبيعة النبع. ذلك هواختلاف منهج التلقي عما كان عليه في ذلك الجيل الفريد..

إنهم -في الجيل الأول- لم يكونوا يقرؤون القرآن بقصد الثقافة والاطلاع، ولا بقصد التشوق والمتاع. لم يكن أحدهم يتلقى القرآن ليستكثر به من زاد الثقافة لمجرد الثقافة، ولا ليضيف إلى حصيلته من القضايا العلمية والفقهية محصولاً يملأ به جعبته. إنما كان يتلقى القرآن ليتلقى أمر الله في خاصة شأنه وشأن الجماعة التي يعيش فيها، وشأن الحياة التي يحياها هو وجماعته، يتلقى ذلك الأمر ليعمل به فور سماعه، كما يتلقى الجندي في الميدان (الأمر اليومي) ليعمل به فور تلقيه! ومن ثم لم يكن أحدهم ليستكثر منه في الجلسة الواحدة، لأنه كان يحس أنه إنما يستكثر من واجبات وتكاليف يجعلها على عاتقه، فكان يكتفي بعشر آيات حتى يحفظها ويعمل بها كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

هذا الشعور.. شعور التلقي للتنفيذ.. كان يفتح لهم من

القرآن آفاقًا من المتاع وآفاقًا من المعرفة، لم تكن لتفتح عليهم لو أنهم قصدوا إليه بشعور البحث والدراسة والاطلاع، وكان ييسر لهم العمل، ويخفف عنهم ثقل التكاليف، ويخلط القرآن بذواتهم، ويحوله في نفوسهم وفي حياتهم إلى منهج واقعي، وإلى ثقافة متحركة لا تبقى داخل الأذهان ولا في بطون الصحائف، إنّما تتحول آثارًا وأحداثًا تحوِّل خط سير الحياة.

إن هذا القرآن لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبل عليه بهذه الروح: روح المعرفة المنشئة للعمل. إنه لم يجئ ليكون كتاب متاع عقلي، ولا كتاب أدب وفن. ولا كتاب قصة وتاريخ -وإن كان هذا كله من محتوياته- إنما جاء ليكون منهاج حياة. منهاجًا إلهيًّا خالصًا. وكان الله سبحانه يأخذهم بهذا المنهج مفرقًا. يتلو بعضه بعضًا: «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا» [الإسراء: ١٠٦]

لم ينزل هذا القرآن جملة، إنما نزل وفق الحاجات المتجددة، ووفق النمو المطَّرِد في الأفكار والتصورات، والنمو المُطَّرِد في المجتمع والحياة، ووفق المشكلات العملية التي تواجهها الجماعة المسلمة في حياتها الواقعية، وكانت الآية أو الآيات تنزل في الحالة الخاصة والحادثة المعينة تحدث الناس عما في نفوسهم، وتصور لهم ما هم فيه من الأمر، وترسم لهم منهج العمل في الموقف، وتصحح لهم أخطاء الشعور والسلوك، وتربطهم في هذا كله بالله ربهم، وتعرِّفُه لهم بصفاته المؤثرة في الكون، فيحسون حينئذ أنهم يعيشون مع الملأ الأعلى، تحت عين الله، في رحاب القدرة. ومن ثم يتكيفون في واقع حياتهم، وفق ذلك المنهج الإلهي القويم.

إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرَّج الأجيال التي تليه. وما من شك أن هذا العامل الثاني كان عاملًا أساسيًا كذلك في اختلاف الأجيال كلها عن ذلك الجيل المميز الفريد.

رمضان والتغيير

:: د. علي عمر بادحدح
www.islamstory.com

عدد غير قليل من الناس مقيدون بسلاسل المعصية، وكثيرون -أيضًا- أسرى لعادات سيئة يعلمون ضررها ويدركون خطرها، ولكنهم يظلون في أسْرِها، وقد استولت عليهم العوائد، وأحاطت بهم العوائق، ووهت عزائمهم، وضعفت إرادتهم؛ لأنه كما هو معلوم أن «للعادات سلطانًا على النفوس، وهيمنة على القلوب، وهي تتركز في الإنسان فتصبح كأنها طبيعة من طبائعه، لا يستطيع التخلص منها ولا يقدر على مفارقتها». وصدق الرصافي حين قال:

إن العوائد كالأغلال تجمعنا .. على قلوب لنا منهن أشتاتِ
مقيدين بها نمشي على حذر .. من العيون فنأتي بالمداجاةِ

والتخلص من العادات السيئة أساسه قوة الإرادة، و«شهر رمضان مدرسة تربية رحمانية يتدرب بها المسلم المؤمن على تقوية الإرادة في الوقوف عند حدود ربه في كل شيء، والتسليم لحكمه في كل شيء، وتنفيذ أوامره وشريعته في كل شيء»، «والصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وثقلها؛ إيثارًا لما عند الله من الرضا والمتاع».

فالصوم -إذن- فرصة ذهبية للتخلص من العادات الرديئة، وإليك إيضاح العوامل التي تعين على ذلك:

١. قوة الإرادة والعزيمة:

كما أسلفت لك، «وبقدر ما تقوى الإرادة يضعف سلطان العادة».

٢. طول مدة التغيير:

فالصائم يلزم بحكم الشرع وبحرصه على الطاعة بترك عوائده وذلك لمدة ثلاثين يومًا، وهي مدة كافية، إذا صدقت نية التغيير.

٣. شمول نواحي التغيير:

فإن الصائم يغير في رمضان مواعيد نومه واستيقاظه، وأوقات طعامه وشرابه، وطرائق شغل أوقاته، وترتيب أولوياته واهتماماته، بل حتى مشاعره وانفعالاته، وبالتالي فإن القدرة على التغيير تكون أكبر وأقوى.

٤. عموم أفراد التغيير:

إن الصوم في شهر رمضان يوجد نمطًا تغييريًا عامًّا يشمل جميع أفراد المجتمع المسلم، فكل مسلم ينطبع بهذا التغيير الباطني والظاهري، وهذا عامل من أعظم العوامل المساعدة على التغيير، فالذي يعزم على التغيير لا يكون وحده، بل يجد التغيير في كل الناس من حوله.

وإذا لم تنجح في التغيير مع وجود الجم الغفير، والزمن الطويل أظنك لن تقدر على التغيير، بل أظنك لا تريد التغيير، وإذا لم تغير قبائح العوائد في رمضان فأنت من المحرومين، ومن ضمن الذين خالفوا حكمة رب العالمين؛ لأنه جعل الصوم للعباد «ليغيروا فيه من صفات أنفسهم، فما غيروا إلا مواعيد أكلهم»، فلا ترضَ أن تكون من هؤلاء، وكن من العقلاء الأتقياء الذين يدورون مع مراد الله، ويحققون مقاصد شرع الله؛ إذ «المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات»، واعلم بأن «الوصول إلى المطلوب موقوف على هجر العوائد وقطع العلائق». والعادات عبودية:

والحر من خرق العادات منتهجًا .. نهج الصواب ولو ضد الجماعاتِ

شهر الحرية

:: الإمام الشهيد حسن البنا

ها هو ذا السحاب ينقشع والغيم ينجاب ويتكشف، والسماء تبسم عن غرة الهلال كأنما هو قوس النصر أو رمز النور المبين. إنه هلال رمضان.. الله أكبر.. الله أكبر.. ربي وربك الله.. هلال خير ورشد إن شاء الله.

إنه هلال رمضان، شهر الأمة وشهر الصوم وشهر القرآن، وشهر المعاني السامية التي تفيض على قلوب من عرفوا حقيقة رمضان واتصلوا بالملأ الأعلى فيه، سمت أرواحهم إلى مرتبة الفهم عن الله.. وما لنا لا نتحدث إلى إخواننا الكرام من أبناء الإسلام عن شهر رمضان، ونطالعهم بخطرات النفس وخلجات الفكر وهو شهر الفكرة الصافية العميقة.

ربي وربك الله

إيه والله لأنه واحد، ورب واحد يتصرف في ملكوت السموات والأرض، ويسيطر على عوالم الغيب والشهادة، ويتحكم في الكون من أقصاه إلى أقصاه، والجميع بعد ذلك في حق الوجود سواء «إن كل من في السموات والأرض، إلا آتي الرحمن عبداً» [مريم: ٩٣] إن الله هو الحاكم وحده، يحكم الأفلاك ويحكم الأناس ويهب لكل وجوده وهداه، فإن كان لأحد أن يتحكم في الأولى، فيغير مداراتها ويقيد حركاتها، فإن له أن يتحكم في الثانية. فيغل أيدي الناس ويتحكم في آجالهم وأرزاقهم، وليس ذلك إلا الله. فارق بروحك أيها الأخ المسلم واسم بنفسك عن أن تكون عبداً لغير ربك، واعلم أن هذا المعنى مما يلفتك إليه النبي صلى الله عليه وسلم حين يجعل من سنته في تحية الهلال أن يقول ربي وربك الله.

إنه هلال رمضان.. فأما كثير من الناس فلا يفهمون من معناه إلا تجهيز المآكل والمشارب، وتحضير المطاعم والمناعم وإعداد لوازم السحور والإفطار، وما يقوي شهية الطعام ويوفر راحة المنام، لأن رمضان كريم وهذا شأن الكرام.

أما قوم آخرون فشهر رمضان عندهم شهر الراحة من عناء الأعمال واللهو والتسلية في لياليه الطوال، وتقسيم الأوقات على الزيارات والسهرات، فهم في ليلهم بين لهو وسمر وقتل للوقت على مقاعد القهاوي والبارات، وتنقل بين دور الملاهي والصالات، وفي نهارهم يغطون في نومهم ويتكاسلون في عملهم.

هذان صنفان خسروا شهر رمضان وخسرهم، وهجروه وهجرهم، وهو حجة عليهم بين يدي ربهم وشهيد على تقصيرهم وسوء تقديرهم.

وقوم آخرون صلوا وصاموا وتعبدوا وقاموا وهم لا يعلمون من ذلك إلا أنهم أمروا فامتثلوا، وتعودوا فعملوا، يرجون رحمة الله، يخافون عذابه، وأولئك لهم ثواب صيامهم وأجر قيامهم، وجزاء أعمالهم إن شاء الله تعالى، والحسنة بعشر أمثالها والله يضاعف لمن يشاء.

وبقي بعد كل أولئك جماعة آخرون أدوا ما أمرهم الله به من صلاة وصيام وتلاوة وقيام ومسارعة إلى الخيرات وإحسان وصدقات، ولكنهم لم يقفوا عند ظواهر الأعمال بل فهموا عن الله فيها، وعرفوا ما يراد بهم منها، وتغذت بصائرهم إلى لباب أسرارها، فعرفوا لرمضان معنى لم يعرفه غيرهم، وفازوا بربح لم يفز به سواهم، واكتسبوا منه تزكية النفوس وتصفية الأرواح.. وأولئك خلاصة المؤمنين وصفوة العارفين.

فهموا من فريضة الصوم وآداب القيام، أنهم سيتركون الطعام والشراب ويقللون المنام، ويحرمون الجسوم هذه الثلاثة وهي مادة حياتهم وقوام نشاطهم.

وإذن فليخلف شبح المادة ولينهزم جيش الشهوات ولتتغلب الإنسانية بمعانيها السامية على هذا الجسم الذي احتلها من قديم، فعطل حواسها وكتم أنفاسها وأطفأ نورها وكبلها بما زين لها من زخرف الشهوات وزائف اللذائذ.

استغن عن الطعام، فإذا استغنيت عنه فقد خلعت عن نفسك نير عبوديته، وصرت حراً من مطالبه خالصاً من قيوده.

واستغن عن الشراب فإذا استغنيت عنه، فقد خلعت عن نفسك نير عبوديته وصرت حراً من مطالبه خالصاً من قيوده.

واستغن عن المنام وعن الشهوة فإذا استغنيت فقد تحررت، وقديماً قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره.

إنك إذا استغنيت عن ذلك صرت حراً طليقاً، وإذن فرمضان شهر الحرية. وإذا استغنيت عن ذلك تقلص ظل المادة وأشرق نور الروح.. وإذن فرمضان شهر الروحانية.

وإذا استغنيت عن ذلك صفا فكرك وتجلى سلطان نفسك، فكنت إنساناً بكل معنى الكلمة.. وإذن فرمضان شهر الإنسانية.

وإذا استغنيت عن ذلك لم يجد الشيطان سبيلاً إليك ولم تلق نوازع الشر مطمعاً فيك.. وإذن فرمضان شهر الخير الواضح المستنير.

مرحباً بك يا شهر الخير.. مرحباً بك يا شهر الإنسانية الكاملة.. مرحباً يا شهر الروحانية الفاضلة.. مرحباً بك يا شهر الحرية الصحيحة.. مرحباً بك يا شهر رمضان.

أقبل.. أقبل

وأقم طويلاً في هذه الأمة الطيبة المسكينة، وألق عليها درساً من هذه الدروس البليغة، ولا تفارقها حتى تزكي أرواحها وتصفي نفوسها وتصلح أخلاقها وتجدد حياتها وتقيم موازين التقدير فيها، فتعلم أن المطامع أساس الاستعباد وأن الشهوات قيود الأسر، وأن أساس الحرية الاستغناء، وأن الاستغناء يستتبع المشقة، ولكنها مشقة عذبة لذيذة لأنها ستنتج الحرية.. والحرية أحلى من الحياة.

الشهوة عقبة تمنع المريدين من الوصول إليه، وحجاب يحول دون الواصلين عن شدة القرب منه، وظلمة تفر منها بصيرة العارفين، وشبكة يعصم الله منها قلوب المقربين.

مصطفى السباعي

المُمتَحنَة

:: حسام الغضبان

هي سورة الممتحنة بكسر الحاء لما فيها من امتحان لمحض الإيمان، وانحياز لطائفة المؤمنين، وترك لمودة الكافرين المعاندين، كما كانت سورة براءة فاضحة. وهي سورة الممتحنة بفتح الحاء منسوبة للمؤمنات المهاجرات اللاتي أمرت السورة بامتحانهن وتبين حقيقة إيمانهن، وأنه ما أخرجهن بغض زوج ولا طلب دنيا، إنما موالاة الله ورسوله والمؤمنين.

هذه السورة تخاطب المؤمنين في افتتاحها وختامها بخطاب الإيمان: «يا أيها الذين آمنوا» تستحضر هذا المعنى واضحا جليا في ضمائرهم وفي واقعهم أنهم أمة تجمعها العقيدة، وتميزها العقيدة. وبناء على هذا الإيمان تدعوهم لترك موالاة الكافرين، في البدء لكفرهم ومبارزتهم للمؤمنين بالعداوة والمحاربة، وفي الختام بوصفهم قد استحقوا غضب الله ويئسوا من لقائه كما يئس الكفار من أصحاب القبور.

والموالاة بما هي من قرب من الولي، كأنك تجعله يليك، من خلال المودة والقرب والنصرة، نقيض العداوة القائمة على البعد بل العَدو عمن يحاربك.

وتبين الآيات صور المحاربة، التي تنشأ عن الكفر بالحق الذي بين يدي المؤمنين، محاربة تدفعهم لإخراج الرسول والمؤمنين من أرضهم، ولا تنتهي عند هذا الحد، بل تبقى تترصد المؤمنين، فإن ظفرت بهم بسطت إيذائها باليد واللسان، بالقتل والجرح والهدم والتخريب، والأذى والوقيعة والنقيصة والتعييب، وكل ذلك كما أن منشأه الكفر فإن هدفه رد المؤمنين كفاراً بعد إيمانهم.

وتتلمس الآيات رصيد الإيمان توقظه حياً، تذكر به حينا بعد حين، لأنه هو الذي يؤسس للموالاة، حتى يحب المرء ويبغض لله، ويقرب ويبعد لله، فتذكر بالهجرة وأن منشأها الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وتذكر بالحقيقة الأبدية أن أخوة الإيمان هي الأخوة السرمدية الباقية، أما أخوة الرحم والنسب فهي في تصور الكافر بالآخرة تنتهي بالموت، وهي كذلك في تصور المؤمن إذ يفصل الله يوم القيامة بينكم، بين أرحامكم وأولادكم وبينكم إذ فصل بينكم الإيمان بالله واليوم الآخر.

ثم تستحضر نسب المؤمن ورصيده التاريخي، تستحضر قدوته وأسوته، بتذكيره بأبي الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبالمؤمنين معه الذين تبرؤوا من قومهم وأهليهم، تبرؤوا من عبادتهم آلهة غير الله، براءة قاطعة، لا يلغيها قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له حقيقة عداوته لله تبرأ منه.

إن كثيرا من الأفكار والفلسفات تبقى أفكارا

مجردة، مثالية، لأنه ليس لها رصيد من الواقع، لا تتناسب مع الطبيعة البشرية، وحب الأهل والعشيرة وإن كانوا مخالفين في الدين أمر مركوز في النفوس، لذلك كان لا بد من استحضار التجربة البشرية فيه، وكيف أن هذه التجربة أثبتت أن العداوة والمحبة الحقيقية تقوم على آصرة أكبر من النسب، آصرة الفكرة والدين والإيمان بالله واليوم الآخر، وهي تأتي بهذا الدعاء الرخي الذي دعا به إبراهيم: «ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم». تربط المؤمن بربه توكلا وتوبة ومصيرا، عليك وإليك وإليك، توحي أن ترك موالاة المؤمنين إظهار للكافرين وفتنة للمؤمنين، تسلم بعزة الله وحكمته البالغة بجعل الموالاة لله ولرسوله وللمؤمنين.

والله سبحانه وهو الأعلم بطبيعة البشر يعلم ما تكنه الصدور من حب للأهل، فتبين أن هذه المفاصلة القائمة على الإيمان لا تعني انقطاعاً للإنسان من فطرته، لكنها تنظم هذه الفطرة وتدعوها إلى البر والمودة للأهل والعشيرة، كل ذلك ما لم يرافق المفارقة في الدين، محاربة ومعاندة، إخراج من الديار ومظاهرة على الإخراج بل يبين الله سبحانه أنه يحب ذلك من عباده: «إن الله يحب المقسطين».

إن المؤمن ليس جافياً ولا مبادئاً بالعداوة، بل علاقته بالناس حوله علاقة مودة وحرص على الخير، علاقة قائمة على النفع لكل الناس، ومحبة للأقربين، لكنها علاقة واقعية، تعرف أن من يدعو الناس للإيمان سيلقى صداً وإعراضاً ومحاربة، فيفاصل حينها وينحاز إلى إيمانه ويوالي المؤمنين، ولا يقدم أواصر القربى على آصرة الإيمان العظمى، لكنه لا يترك بر غير المحاربين والإقساط إليهم، ويلقى المحاربين بما يستحقونه من قطيعة وعداوة، وتبين الآيات في آخر الأنفال أن ترك ذلك..»إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

وتفصل الآيات حكم انقطاع علائق الزوجية بين المؤمنين والكافرين التي كانت قائمة قبل ذلك: «لا هن حل لهم ولاهم يحلون لهن»، وتأمر بقبول المهاجرات بعد امتحانهن، ورد ما أنفق عليهن أزواجهن، وطلب ما أنفق المؤمنون على زوجاتهن المشركات، وتعويض ذلك مما يصيبه المؤمنون من الكافرين إن ابوا ذلك، وتلامس الإيمان في قلوب المؤمنين، وهي تعرض هذا التشريع. ثم تختتم بالبيعة للمؤمنات على أسس هذا الدين وترك كبائر الإثم من شرك وسرقة وزنا وبهتان ومعصية الرسول. تبيانا لما عليه هذا الدين من معروف وبر وخير للناس كل الناس مؤكدة في ختامها ما جاءت به في أولها من حث على ترك موالاة الكافرين، ذلك الأمر الذي هو محض الإيمان وحقيقته، وبه تمتحن قلوب المؤمنين.

الولاء والبراء

:: يمامة الشهباء

لا بدّ للتجمّعات البشرية من رابطٍ يحوّلها إلى شعوب، رابطٍ يخلق بين الأفراد لحمةً، وينزع شوكة الأثرة الفردانية فيقوم الكل مقام الواحد، ويقوم الواحد مقام الكل في علاقةٍ يعكس عمقها مدى الترابط الذي يصنع من الشعب أمةً قادرةً على إقامة حضارة، كان ذلك الرابط هاجسَ ابن خلدون في محاولته الكشف عن مقومات الدولة السياسية، فذهب إلى أنّ «العصبيّة» جوهريّةٌ في العمق الأساسي لها، ولعلّها الرابط الذي يضمن انتظام الكتلة البشرية في بنيانٍ يصحُّ تسميته «دولة» حيث يلتحم الفرد بالجماعة، وتجري عليه أحكامهم وأحوالهم. ذلك لأنّ الحضارة كما أكد دارسو الحضارات «لا تقوم إلا على الحسّ الجماعيّ لا على الفردية بأية حال»، وأنّ الفكرة الحضاريّة «لا تكون إلا مُعصِّبة».

ولأنّ الإسلام يحمل بين جنبيه مشروع حضارةٍ آتت أُكُلها دهراً واسعاً، فقد قدّم لمعتنقيه هذا الرابط الذي أسّس للأمّة القادرة على صناعة الحضارة الإسلامية، عبر مفهومي «الولاء والبراء» في توازنٍ يحفظ «العدالة» و«المواطنة» واعتدالٍ يضمن للأمة هويتها وإنسانيّتها، فالمسلمون «أمة من دون الناس» لكنّهم أمةٌ تتعايش مع الأخوة في الوطن تعايشاً قائماً على ثنائية الحق والواجب التي تقيم العدالة، كما أنّهم «يتعارفون» على الأمم والشعوب الأخرى وفق مبدأ جوهره أن «لا عدوان إلا على الظالمين».

بدأ بناءُ الدولة الإسلاميّة في المرحلة المدنيّة، وكانت الوثيقة التي أنشأها رسول الله صلّى الله عليه وسلم أولَ دستورٍ تشريعيّ احتُكم إليه في التاريخ الإسلامي، ونصّ البند الأول في الوثيقة على وحدة الأمة الإسلامية مرتقياً بالولاء من الأسرة والقبيلة إلى الدولة الجديدة؛ فـ «المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس»، ولأنّ الحاجة ماسّةٌ للولاء ماديّاً ومعنويّاً، فقد جعل الإسلام آنذاك التوريث بين المسلمين بعضهم بعضا من دون مراعاة الرحم، وهو حكمٌ نسخته الآية «وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِيْ كِتَابِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ..» [الأنفال: ٧٥]، حيث انتهت الحاجةُ الماديّة لولاء الميراث ليبقى الجوهر المعنويّ الذي تأسس المجتمع المسلم عليه،

كان ذلك وقت وضعت اللبنة الأولى للمجتمع المسلم واقتضت المصلحة العليا للأمة أن يصبح المهاجرون والأنصار إخواناً، فينفكّوا عن العصبية للأهل والأقربين ويتحوّلوا إلى الولاء للأمة، «إِنَّ الَّذِين آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ» [الأنفال: ٧٢]، واشتد الامتحان بالمؤمنين ليشدّد على الولاء للأمة الناشئة، في مقابل البراء من المخالفين في العقيدة ولو كانوا أولي قربى، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» [التوبة: ٢٣]. وضع الإسلام بذلك الأساس المتين للمجتمع، وضمن الولاء الذي يُعصّب جماعة المسلمين، الولاء الذي هو الخطوة الأولى في حفر أساسات الحضارة، ذلك أنّ الضامن الحقيقيّ لقيام الحضارة هو الولاء الجماعي القائم على عقيدة مركزية واحدة، تُمثّلها نخبةٌ رشيدة، وتمتدُّ في عمق الجماعة، وتتحد بالمصلحة لتقيم نظاماً اجتماعيّاً متماسكاً يلخّصه الحديث: «مثلُ المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى» [متفق عليه]، بهذا الولاء تحوّلت الطبقة الأولى من المسلمين إلى عصبةٍ واحدة يجمعها هدفٌ واحد، ويضمّها نظامٌ اجتماعيٌّ موحّد، وتؤسّس لها عقيدةٌ واحدةٌ، ولتعميق ذلك في المجتمع المسلم فُرِضَت فرائض ذات طابعٍ جماعي بعضها اقتصادي مثّلته الزكاة التي تضمن حقّ الفقراء في أموال الأغنياء للحفاظ على التوازن الاقتصادي، إضافةً إلى كونها مظهر ولاءٍ معنويّ مبنيّ على التراحم الذي يبدو في حده الأدنى فريضةً وفي حدوده العليا مندوباً كما في الصدقات، وفرائض ذات طابعٍ جماعيٍّ معنويّ مثّلتها الصلاة الجامعة في يوم الجمعة والتي هي الحد الأدنى من الاجتماع الذي يجدد فيه المسلمون ولاءهم الجماعيّ في المسجد الذي عرف بالجامع إبرازاً لوظيفته الجوهريّة، إذ ليست تختار اللغةُ مسمّياتها عبثاً، ومن ثم شجع الإسلام على الجماعة في الصلوات الخمس، ووعد المصلّي مع الجماعة بأضعاف ثواب الصلاة المفردة تأكيداً على الولاء الجماعي، كما بثّ في المجتمع أخلاق التعاون، والإيثار والتسامح وحسن الجوار والتناصح.. وتلوح عقيدة الولاء واضحة في الأحاديث الداعية إلى تلك الأخلاق، فالنصيحة «لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» [مسلم]، و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» [البخاري] و«عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم» [متفق عليه]... فبرغم تأكيد الإسلام على العدل والإحسان في التعامل مع غير المسلمين إلا أنّ التركيز المباشر كان في تلك الأخلاق كان على العلاقة بين المسلمين أنفسهم، ما يؤكد أنها أخلاق يُراد لها أن تحكم المجتمع المسلم الذي توليه الخلاقيّة الإسلاميّة اهتمامها لإقامة الأمة المبتغاة، بل إن حديثاً مثل «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» [أحمد وأبو داود والترمذي بإسناد حسن] يشير إلى تدخل المندوبات الأخلاقية في عمق الخصوصية الفردية وتوجيهها وجهة مجتمعيّة قائمة على الولاء، فاختيار الصديق المؤمن

واختيار الضيف التقي يشي بانحيازٍ عصبيّ للأمة، ولا يخفى ما للصديق من أثر على صديقه، لكن مع عدم تحريم أو منع مصاحبة غير المسلمين. تُحبِّذ المنظومة الأخلاقيّة المسلمة، إذن، أن يختار المسلم صاحبه من خيرة المسلمين انحيازاً للأمة، وتعميقاً لعلاقاتها الداخلية.

لم يقامر الإسلام ببنية الأمة الإسلامية في علاقاتها الداخلية ولا الخارجية، بل عُني بكل تفاصيلها معمّقاً الولاء الذي يعصّب أفراد الأمة الإسلامية، والذي يبرز في مواقف جوهريّة نستطيع أن نلخّصها في ثلاث نقاط مهمة:

* الحب: في الحديث: «من أحبّ لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» [أبو داود] وهو حديثٌ يوجّه قلب المؤمن فيجعل محبته وبغضه وفعله كله من وراء سور الإيمان بالله، بل إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ربط الإيمان بمحبته عليه السلام فقال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» [الشيخان].

وبرغم أنّ الأحاديث السابقة تظل في إطار كمال الإيمان فإنّ القرآن نصّ صراحة على أنّ حب الله ورسوله والجهاد في سبيل الله ينبغي أن يكون في قلب المؤمن فوق حبه لأهله ولدنياه، في لهجة تحذير لمن يخالف ذلك، يقول سبحانه: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنَ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» [التوبة: ٢٤]، يفهم من الآية أنّ حكم الفسق ينطبق على أولئك الذين لا يجدون في قلوبهم شعور الحب لله ولرسوله وللجهاد حباً يفوق حب الأهل والمال والولد.

* النصرة: جاء في وثيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة: «أن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (كبيرة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم، ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن..» بهذا الميثاق ابتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية وفق قاعدة اليد الواحدة، التي تحمي الجسد الواحد، وتردُّ عنه العدوان أياً كان، فالمؤمن لا ينصر كافراً على مؤمن حتى ولو كان ذلك الكافر ولده أي أقرب الناس إليه من رحمه، ولأنّ مسلمي المدينة كانوا قد انشقوا بإسلامهم عن عصبيّتهم القبليّة مخلّفين وراءهم أهلا وإخواناً كان لزاماً عليهم أن يُعلنوا ولاءهم الكامل لأمّتهم مؤكدين أنّ نصرهم لأبناء أمتهم قائمٌ ولو كان العدو في ذلك أحد أهلهم، وقد فرض القرآن التناصر بين المسلمين بل أكد على إسلاميّة أصله، قال سبحانه: «وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ» فبرغم أنّ الآية خاصّةٌ في مَن بقي في خارج المدينة من المسلمين ممّن لم يهاجروا فلم يدخلوا في حلف الدولة الجديدة إلا أنّها صريحةٌ في أنّ الدين رباطٌ يجمع الأمة في ولاءٍ أولي، لكنّ تمام الآية يوضح إقرار الإسلام

ما يُعرف اليوم بمفهوم «المواطنة»، فالمؤمنون من المهاجرين والأنصار الذين أقاموا دولة الإسلام في المدينة المنورة أمة، لكنّهم كما نصّت الوثيقة النبويّة يتعايشون مع سواهم من المقيمين في المدينة وهم اليهود آنذاك، ولكلّ دينه الذي يقيمه، كما أنّ لكل فريق حقوقه وواجباته التي أوضحتها الوثيقة، والمسلمون ينصرون إخوانهم ممّن لا يشاركونهم المواطنة إذ لهم عليهم حق الدين، وولاء الأمة الواسعة، لكنّ هؤلاء لا يدخلون ضمن دولتهم كما هوا واضحٌ في الآية، ونصّها الكامل: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» [الأنفال: ٧٢].

* البراء من غير المسلمين: يستطيع المتتبع للنصوص الواردة في الولاء أن يطمئن إلى أن البراء لا يخرج عن كونه أحد مظاهر الولاء، وليس شطراً موازياً فولاء المسلم للمسلمين يقتضي منه ضرورةَ البراء من سواهم، وهو براءٌ قوامه عنصرين جوهريين هما عدم الحب وعدم النصرة، فالمسلم لا يعلّق قلبه بغير المسلمين إعجاباً وارتباطاً ولا ينصرهم على إخوانه.

والنصوص صريحةٌ في بيان ذلك: «لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [المجادلة: ٢٢].

و جاء في صحيفة رسول الله أنّ المؤمن «لا ينصر كافراً على مؤمن»، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمَاً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ» [الممتحنة: ١٣].

قدّم الإسلام بفريضة «البراء» صيانة الحدود الخارجية للأمة، فالبراء هو الثغر الذي يحفظ للأمة هويتها ويحميها من انحرافاتٍ تودي إلى الميوعة الفكريّة أو الذوبان والتلاشي بله الانبهار المؤدي إلى غياب الثقة بالنفس في مقابل الآخر، بيد أنه حفظ للآخر حقوقاً مؤدّاة في ذمة المسلمين سواءٌ أكان هذا الآخر داخليّاً يعيش مع المسلمين في وطنٍ واحد كيهود المدينة الذين نصّت صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم على «أنّ بينهم وبين المسلمين النصر على من حارب أهل الصحيفة، وأنّ بينهم النصح والبر دون الإثم،.. وأنّ النصر للمظلوم». أو كان ذلك الآخر من أصحاب العهد والميثاق فقد أوجب الإسلام حفظ العهود والمواثيق مع الشعوب الأخرى فنصّ القرآن صراحةً على أنّ المسلمين ينصرون إخوتهم في الدين ممّن لا يشاركونهم الوطن مستثنياً من ذلك أصحاب الميثاق «إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ..».

وللبراء أحكامٌ تفصيليّةٌ يضيق المجال عن ذكرها، ولعلّنا نأتي عليها في إلمامةٍ أخرى بإذن الله.

فتاوى

حكم استيفاء الحقوق من الأعداء بعد إعطائهم الأمان

:: هيئة الشام الإسلامية
www.islamicsham.org

السؤال:

نضطر في بعض المعارك أن نعطي الأمان لبعض الشبيحة أو جنود النظام، ثم نكتشف من خلال التحقيق أنهم قاموا بعمليات تعذيب وقتل للمدنيين، أو اغتصاب، أو أنهم من المجرمين السابقين وفي ذمتهم قصاص، فهل يجوز معاقبة هؤلاء على تلك الجرائم؟ أم يبقون على أمانهم؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

الأمان يفيد عصمة دم المحارب وماله، وعدم محاسبته على ما ارتكبه خلال الأعمال العسكرية من قتل وتدمير وأعمال هي من طبيعة الحرب وضرورتها؛ وأما الجرائم التي لا تتعلق بطبيعة الحرب فالأمان لا يمنع من معاقبته عليها، وتفصيل ذلك كما يلي:

أولا: إذا أعطى المسلمُ الأمانَ لأحد جنود النظام أو شبيحته فقد حرُم بذلك دمه وماله على جميع المسلمين، ولا يجوز التعرض له بأي أذى، ومن اعتدى عليه فإنه آثم، ويُعَزَّر بما يناسب من العقوبة على اعتدائه.

ثانيا: إذا تابَ أحد جنود النظام أو أُعطي له الأمان، فلا تتم محاسبته على الجرائم التي ارتكبها خلال الأعمال الحربية والتي هي من طبيعة الحرب، ولا يضمن شيئاً أتلفه من الأنفس والأموال مما وقع خلال القتال والاشتباك.

وقد نص العلماء –رحمهم الله تعالى- على أن جنايات البغاة والخوارج والمرتدين في الحرب: لا ضمان فيها.

قَالَ الشَّافِعِيُّ –رحمه الله- في «الأم»: « قد ارتدَّ طُلَيحةُ عن الإسلام وقتَلَ ثابتَ بن أقرَمَ وعُكاشة بن محصنٍ ثم أسلَمَ فلم يقد بواحدٍ منهما، ولم يؤخذ منه عَقْلٌ لواحدٍ منهما». والقَوَدُ: القصاص، والعقل: الدية.

وعن مَعمَرٍ, قال: أخبرني الزُّهريُّ, أن سليمانَ بن هشامٍ, كتب إليه يسألُهُ عن امرأةٍ خرجت من عند زوجها, وشهدتْ علَى قومها بالشِّرك, ولحقت بالحَرورية [الخوارج] , فتزوجت, ثم إنها رجعت إلى أهلها تائبة, قال الزهري: فكتبت إليه: أما بعد, فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن شهد

بدرا كثير، فاجتمع رأيهم على أن لا يقيموا على أحد حدا في فرج استحلوه بتأويل القرآن, ولا قصاصا في قتل أصابوه على تأويل القرآن, ولا يرد ما أصابوه على تأويل القرآن. أخرجه عبد الرزاق.

[والمقصود بإصابة الفرج بتأويل القرآن: الحكم على الزواج وفسخه باجتهاد غير صحيح].

وقال ابن تيمية رحمه الله في «الفتاوى» بعد ذكر كلام الزهري السابق:

«وكذلك قتال البغاة المتأولين -حيث أمر الله بقتالهم- إذا قاتلهم أهل العدل، فأصابوا من أهل العدل نفوسا وأموالا، لم تكن مضمونة عند جماهير العلماء. وكذلك المرتدون إذا صار لهم شوكة، فقتلوا المسلمين وأصابوا من دمائهم وأموالهم، كما اتفق الصحابة في قتال أهل الردة: أنهم لا يضمنون بعد إسلامهم ما أتلفوه من النفوس والأموال، فإنهم كانوا متأولين وإن كان تأويلهم باطلا. كما أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة عنه مضت بأن الكفار إذا قتلوا بعض المسلمين، وأتلفوا أموالهم، ثم أسلموا لم يضمنوا ما أصابوه من النفوس والأموال. وأصحاب تلك النفوس والأموال كانوا يجاهدون، قد اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، فعوض ما أخذ منهم على الله لا على أولئك الظالمين الذين قاتلهم المؤمنون».

ثالثا: أما الجرائم التي ارتكبها الجندي أو الشبيح مما لا يتعلق بالأعمال العسكرية الحربية، كالاغتصاب، وقتل المدنيين عمدا، والسرقة من بيوتهم، ونحو ذلك، فهذه لا يمنع الأمان من استيفاء الحق فيها؛ لأنها جنايات خاصة لا تعلُّق لها بالحرب، وليست من أعمالها.

قال الشافعي رحمه الله في «الأم» عن قطاع الطرق الذين قتلوا وسرقوا: «ولو أعطاهم السلطان أمانا على ما أصابوا، كان ما أعطاهم عليه الأمان من حقوق الناس باطلا، ولزمه أن يأخذ لهم حقوقهم إلا أن يدعوها».

وقال: «وأمان الإمام في حقوق الناس باطل».

وقال النووي رحمه الله في «روضة الطالبين»: «فإذا أتلف باغ على عادل أو عكسه في غير القتال: ضمن قطعا». وقال: «فلو أتلف في القتال ما ليس من ضرورة القتال، وجب ضمانه قطعا».

وقال ابن تيمية رحمه الله في «الصارم المسلول»: «من حل قتله لم يُعصَم دمه بأمان ولا عهد، كما لو أمن المسلم من وجب قتله لأجل قطع الطريق ومحاربة الله ورسوله والسعي في الأرض بالفساد الموجب للقتل، أو أمن من وجب قتله لأجل زناه، أو أمن من وجب قتله لأجل الردة... ولا يجوز أن يعقد له عقد عهد، سواء كان عقد أمان، أو عقد هدنة، أو عقد ذمة؛ لأن قتله حد من الحدود، وليس قتله لمجرد كونه كافرا حربيا».

وعليه: إذا أعطى المجاهدون جنديًا من جنود النظام أو شبيحًا أمانًا ثم علموا أنَّ عليه قصاصًا قبل الحرب، أو أنَّه قد قتل مدنيين، أو اغتصب، أو ارتكب جنايةً خارج الأعمال الحربية، فيجوز عقوبته واستيفاء الحقوق منه، ولا يمنعهم الأمان من ذلك.

رابعًا: الأصل ألا يُعطى جنود النظام وشبيحته الأمان إلا في حال الحاجة لذلك، ويكون التعامل معهم وفق الأحكام الشرعية.

نسأله سبحانه وتعالى أن ينصر إخواننا المجاهدين، وأن يقطع دابر المجرمين المفسدين، والحمد لله رب العالمين.

الواجب على الأطباء عند ازدحام الجرحى ونقص الكوادر

:: هيئة الشام الإسلامية
www.islamicsham.org

السؤال:

يصل إلى المستشفيات بعض الجرحى حالتهم ميؤوس منها، وموتهم قضية وقت، لشدة الإصابات والتهتكات في أعضائهم وأطرافهم، وتأخذ محاولة إسعافهم وقتًا وجهدًا كبيرًا، ويحجزون أسرَّة وأجهزة، ثم يموتون في غالب الأحيان.

ويصل أحيانا معهم أو بعدهم أشخاص إصابتهم أقل خطورة ولو توافرت لهم الجهود أو الأجهزة لأمكن إنقاذ أرواحهم أو أعضائهم من البتر.

فهل يجوز لنا إذا حضر لنا بعض هؤلاء الميؤوس منهم أن نصرف الجهد والأجهزة لمن هم أقل خطورة، أو أن ننزع عنهم الأجهزة بعد وضعها؟

الحمد لله مُقدِّر الموت والحياة، والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي كانت رسالته هدى ورحمة وشفاء لما في الصدور، أما بعد:

فإنَّ مداواة الجرحى، وعلاجهم، والقيام على شؤونهم واجب، لا يجوز التقصير فيه، أو التخلي عنه، إلا إن قام الدليل القاطع من أهل الاختصاص على اليأس من حياة الجريح فلا حرج عليهم في ترك علاجه، وإن تَزَاحَمَ المرضى ولم يمكن علاجهم جميعًا قُدِّم من تُرجى حياته على من يغلب على ظن أهل الاختصاص موته لشدة إصابته، على التفصيل التالي:

أولا: الأصل أنَّ كل جريحٍ أو مصابٍ يجب علاجه، مهما كانت إصابته والضرر النازل به؛ قياماً بحقه، وحفاظاً على نفسه المعصومة من التلف، لا فرق في ذلك بين مسلم وآخر؛ إذ المسلمون متساوون في العصمة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه علي رضي الله عنه: «المسلمونَ تتكافأُ دماؤُهم» رواه أبو داود، والنسائي.

ثانيا: إذا جزم عددٌ من الأطباء المختصين بأن الجريح ميؤوس من حياته، بسبب وفاة دماغه أو توقف قلبه وتنفسه توقفاً تاماً لا رجعة فيه، فلهم ترك علاجه والتوقف عن إعطائه الأدوية، أو سحب أجهزة الإنعاش الطبية التي تغذيه، وهذا ما قرره مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمره الثالث عام ١٤٠٧هـ /١٩٨٦م.

ثالثا: إذا غلب على ظن الأطباء المختصين أن الجريح أو المصاب لا يرجى شفاؤه أو برؤه؛ لشدة إصابته، أو مكان حدوثها، إلا أن علاجه لا يتعارض مع مصلحة أخرى أولى وأهم منها، ففي هذه الحال يلزمهم علاجه؛ عملاً بالأصل من وجوب استنقاذ النفس البشرية، ولأن إنقاذ حياته مصلحة مظنونة لا معارض لها يبرر تركها.

رابعا: إذا وصل عددٌ من الجرحى (كما يحدث في القصف الجماعي)، وتضايقت الموارد (البشرية أو المالية أو المعدات) عن علاج الجميع وإسعافهم، فعلى الأطباء

تقديم من تُخشَى وفاته وترجى حياته، ولهم أن يؤخروا من غَلَب على ظنهم اليأس من حياته؛ لأن المصلحة الراجحة تقدَّم على المصلحة المشكوك في تحصيلها، وتغليباً لما هو مرجو على ما هو ميؤوس منه.
كما لهم أن يؤخروا من كان علاجه يحتمل التأخير؛ تحقيقاً لمصلحة الجميع.
فإن اشترك الجرحى في رجاء علاجهم، قُدِّم أولهم وصولاً؛ لأنَّ من سَبَقَ إلى شيء فهو أحق به، قال ابن نجيم رحمه الله في «الأشباه والنظائر»: «لا يُقدَّمُ أحدٌ في التزاحُمِ على الحقوقِ إلا بمرجّحٍ، ومنه: السَّبْقُ».

خامساً: إذا باشر الأطباء علاج من لا يرجى شفاؤه وبرؤه فيما يغلب على ظنهم، ثم جاءهم من يرجون شفاءه إذا عالجوه، ويخشون موته إن تأخروا عن علاجه، ولا قدرة لهم على علاج الجميع، فيتركون المريض الأول ويعالجون الثاني تغليباً للمصلحة الراجحة؛ إذ نجاة الثاني بالمبادرة إلى علاجه مصلحة محققة أو غالبة، ونجاة الأول مصلحة متوهمة أو مرجوحة، والقاعدة الشرعية تقول: إذا تعارضت مصلحتان قدمت أرجاهما أو أعظمها.
وإذا تزاحمت الحقوق، فإنه يُقدَّم منها ما يمكن تداركه على ما لا يمكن تداركه.
ولا يُقال هنا إن ترك علاج الأول سبَّبَ وفاته؛ لأن ترك العلاج لم يكن تهاوناً وتفريطاً، بل لوجود مصلحة معارضة هي أرجح منها.

سادساً: ينبغي ألا ينفرد في الحكم باليأس من حياة المريض -بموت دماغه أو توقف تنفسه أو غلبة الظن بعدم البرء- طبيب واحد، بل يكون ذلك موكولاً للجنة من الأطباء ما أمكن، وذلك بعد النظر في حالة المريض ودراستها.

سابعاً: ما جاءت هذه التساؤلات إلا من حاجة ميدانية ملحة، وهذا يوجب على جميع المسلمين، -وخاصة التجار والموسرين- الإنفاق في تجهيز المستشفيات الميدانية وغير الميدانية بالمعدات اللازمة، كما يوجب أيضا على الأطباء أن ينفروا ولو بعضًا من أيام وشهور العام لتحقيق الواجب الشرعي في علاج جرحى المجاهدين وعامة المسلمين، قال تعالى: «وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [المزمل: ٢٠].

وأخيرًا:
فإنَّ عمل الأطباء في ذلك هو من الجهاد في سبيل الله تعالى، ونرجو لهم بذلك الأجر العظيم من الله تعالى، فنوصيهم بالصبر والمصابرة، واحتساب الأجر، وهم في ظل هذه الظروف من القصف والحصار، والضغوط الشديدة، مجتهدون، لا وزر عليهم إن أخطؤوا الاجتهاد بعد بذل الوسع.
نسأل الله سبحانه أن يرفع عن شامنا الحبيب الكرب وأن يشفيَ جرحانا، وأن ينصرنا على أعدائنا، وأن يبْرم للشام وأهله أمراً رشداً، يُعزُّ فيه أهل الطاعة، ويُذلُّ فيه أهل المعصية، والحمد لله رب العالمين

محمد الحسناوي رحمه الله

الشاعر الأديب

:: يمان محمد الحسناوي

أرحلـــت حقا يا أبا حســـان
من غيـر مـا نبأ ولا إعـــلانِ
أرحلت في وضح النهار ونحـن
أعـداد النجوم وعدة الأزمـانِ
أرحلت لولا شئـت فدّيناك يا
حبّ القلـــوبِ بأكبدِ الإخوانِ

بهذه الأبيات صدح الشاعر والأديب محمد الحسناوي في جمع تشييع رائد الحركة الإسلامية في سورية الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله، يوم السبت ١٩٦٤/١٠/٣، حيث كان الحزن عظيما على فقدان هذا العالم الداعية والمجاهد المربي الذي كان الحسناوي أحد تلامذته ممن حملوا هم الدعوة والداعية بعده وحمّلوها لمن بعدهم.

الحسناوي ابن العاصي من مدينة جسر الشغور (بلد النوابغ) كما أحب أن يسميها في أحد مؤلفاته، وعده بعضهم عَلَما من أعلامها، يعود أصل أسرته إلى مدينة إحسم، مركز الناحية لقرى جبل الزاوية، نشأ في أسرة متواضعة، عرف عن والده الحاج محمود الحسناوي الصلاح والتواضع.

محمد الحسناوي من مواليد عام ١٩٣٨، نشأ واختار طريقه مبكراً حيث كانت تربية الجد تقوم على ترك الأبناء يختارون طريقهم بحرية، فبعد الابتدائية، أتم الحسناوي دراسته الإعدادية في اللاذقية فبدأ اختلاطه بالإخوان وتأثره بدعوتهم، ثم انتقل إلى دمشق للدراسة الثانوية لينجح في مسابقة دار المعلمين، ويلتحق بعدها بكلية الآداب بجامعة دمشق لينال إجازة في اللغة العربية عام ١٩٦١، ثم دبلوم التربية العامة عام ١٩٦٢. وقد عمل مدرسا للغة العربية طوال ١٨ عاما في محافظة حلب، حصل خلالها على درجة الماجستير في الأدب العربي على رسالته «الفاصلة في القرآن» التي قدمها في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية عام ١٩٧٢.

استطاع الحسناوي أن يقنع صديقه الشهيد إبراهيم عاصي رحمه الله ابن مدينته، أن يختار كلية الآداب ليتخرج فيها مدرسا للغة العربية، علما بأن الشهيد إبراهيم عاصي مؤسس الحركة الإسلامية في جسر الشغور هو من نظم الحسناوي في صفوف الإخوان. وقد شارك مع شباب في دمشق بمظاهرات للتنديد بالعدوان الثلاثي على مصر، فكان محمولا على الأكتاف يهتف منددا بحلف بغداد، فعرف في شبابه الحماس والمبادرة، واختار دعوة الإخوان المسلمين كحركة إسلامية وانخرط في صفوفها.

التقى بالدكتور مصطفى السباعي رحمه الله وتأثر

بـه تأثـرا بالغـاً، وكان أن أسـند إليـه السـباعي دوراً فـي مجلـة حضـارة الإسـلام التـي عرفـت عـام ١٩٥٨، فكتـب وحرر فيها حتى صار مديراً للتحرير فيها عام ١٩٦١، وكان يعمـل بـدأب مـع إخوانـه لإنجـاح هـذا العمـل الإعلامـي الدعـوي الرائـد.

لازم هـمُّ العمـل الإعلامـي والدعـوي حيـاةَ الأديـب الحسـناوي، وقُـدِّر لـه أن يعيـش محنـةً مـع إخوانـه فـي الصـراع مـع النظـام المجـرم فـي سـوريا حتـى ألجأتـه الظـروف إلـى مغادرتهـا مرغمـاً ليكمـل سـعيه مـن غربتـه. وإذا ذكـرت الحسـناوي ذكـرت معـه عـددا مـن الأدبـاء وشـخصيات الحركـة الإسـلامية فـي سـورية، أمثـال الأسـتاذ عبـد اللـه الطنطـاوي أقـرب الإخـوة والأصدقـاء إليـه، حيـث تلازمـت صداقتهمـا أكثـر مـن خمسـين عامـاً، فاصطلـح بعـض الأحبـاب علـى تسـميتهما بالحسـطاوي (حسـناوي طنطـاوي)، إضافـة إلـى الأسـتاذ الشـاعر عبـد اللـه عيسـى السـلامة، وغيرهمـا.

ومـن الأسـاتذة الذيـن درسـهم الحسـناوي شـاعر الدعـوة المبـدع سـليم عبـد القـادر زنجيـر رحمـه اللـه والأسـتاذ زهيـر سـالم والأسـتاذ طعمـة طعمـة والشـاعر يحيـى حـاج يحيـى، وغيرهـم ممـن اختـاروا ذات المنهـج، لتسـتمر بذلـك سلسلةٌ ورسـالة حملتهـا هـذه الأمـة جيلا بعـد جيل، رغـم المحـن والفتـن، رسـالة التوحيـد والدعـوة إلـى اللـه.

كان الحسـناوي شـغوفا بـالأدب والمطالعـة، ومكتبتـه عامـرة بالكتـب التـي بـذل لأجلهـا سـاعات مـن البحـث بيـن المكتبـات وأنفـق عليهـا ثـروة حتـى اختـار كتبهـا بعنايـة، وهـي أعـز مـا ملـك يومـا، لكنـه اختـار أن يحتسـب ذلـك كلـه فـي سـبيل اللـه، حيـث صـادرت أجهـزة النظـام كثيـرا منهـا وأحرقتـه، عـدا عـن بيتـه الـذي احتلـه رجـال مـن الأمـن وصـادروه فـكان يذكـر كتبـه أكثـر مـن ذكـره لبيتـه.

ولتميُّـزه وشـغفه حصـل الحسـناوي علـى عـدد مـن الجوائـز مثـل (الجائـزة الأولـى لمهرجـان عـكاظ الجامعـي عـام ١٩٦٠) و(الجائـزة الثانيـة فـي أدب الأطفـال مـن رابطـة الأدب الإسـلامي عـام ١٩٩٩) و(الجائـزة الأولـى فـي القصـة الإسـلامية مـن مهرجـان الإسـراء فـي الموصـل ٢٠٠١)، إضافـة إلـى مشـاركته فـي عـدد كبيـر مـن المؤتمـرات الأدبيـة.

كمـا كتـب الحسـناوي فـي عـدد مـن المجـلات الأدبيـة والإسـلامية مثـل مجلـة (الآداب) و(الأديـب) و(الفكـر) اللبنانيـات، ومجلـة (حضـارة الإسـلام) و(المعرفـة) ومجلـة (مجمـع اللغـة العربيـة) الدمشـقيات، ومجلـة (البعـث الإسـلامي) الهنديـة ومجلـة (المشـكاة) المغربيـة ومجلـة (الفكـر) التونسـية، و(المجتمـع) الكويتيـة، وغيرهـا.

واهتـم بشـعر التفعيلـة الـذي كان يـرى أن رائـده هـو الأديـب علـي أحمـد باكثيـر رحمـه اللـه، إضافـة إلـى اهتمامـه البالـغ بالدراسـات القرآنيـة وكتابـات سـيد قطـب رحمـه اللـه بشـكل خـاص.

وكان الحسـناوي عضـوا فـي رابطـة الأدب الإسـلامي العالمـي، وعضـوا مؤسسـا فـي رابطـة أدبـاء الشـام وتميّـز نتاجـه بصبغـة إسـلامية معاصـرة، حيـث كان يعيـش حياتـه كلهـا لذلـك، فألـف كتابـاً (فـي الأدب والحضـارة) وآخـر (فـي الأدب والأدب الإسـلامي) إضافـة إلـى كتـاب كان عظيـم السـرور بإنجـازه قبـل وفاتـه، سمّـاه (دراسـة جماليـة بيانيـة فـي أربـع سـور: الإسـراء والكهـف ومريـم وطـه).

اشـتغل بالعمـل الإعلامـي مـع إخوانـه زمنـاً، فسـاهم فـي إنجـاز إصـدارات عـدة، مثـل (حمـاة مأسـاة العصـر) وغيرهـا، كمـا كان لـه دور مـع فريـق إعلامـي مـن الشـباب وكان مسـؤولا عنـه لفتـرة مـن الزمـن، ومـن هـؤلاء الشـباب مـن قـدر لـه المسـاهمة فـي الثـورة السـورية الحاليـة بشـكل

كبير سياسيا وإعلاميا.

إذا ذكرت الحسناوي ذكرت معه إخوانا من مدينة حلب التي درّس فيها، وسكن وتزوج منها، وكانت له علاقات وطيدة مع كثير من إخوانه من أهل حلب، حتى استمرت هذه العلاقة طوال الغربة فكان يعد من رجالها، كيف لا وقد طاف قراها مع إخوانه مدرسا وخطيبا وشاعرا وداعية، فكانت صلته بأهلها لا تقل عن صلته بأهل منطقته في جسر الشغور وأريحا وإحسم، كما أنه كان يهوى اللاذقية التي كانت أول معرفته بشباب الدعوة فيها.

عُرفت عنه جرأة مع طاعة، وحسن انضباط والتزام إذا أسند إليه أمر، وكان دائم الانشغال، غزير العطاء، يقدم الأولوية في عمله على كثير من أمور أهله ووقتهم. حتى عرفَتْ عنه مفارقات لطيفة كأن ينسى لوهلة عدد أبنائه أو عدد الذكور والإناث منهم، وربما نادى أحدهم باسم أخيه، فقد استعان في متابعة أسرته بأهل بيته لكثرة انشغاله. وقد أكرمه الله بأن اختار له أستاذه الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله زوجة من الأخوات من حلب وعقد له قرانه عليها فكانت أولى زوجاته، ثم لما قدر لها أن تفارقه في دار الغربة بعد عمر، دفنها في بغداد ثم انقطعت السبل حتى عن زيارة رفاتها بعد ما غادر العراق الذي آلت أحواله إلى ما آلت إليه، ثم عقد له شيخه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله على أخت أخرى من حمص فكانت ثاني زوجاته، فرحل عن أسرته وترك أمرهم لله ولإخوانه الذين كانوا نعم الأهل لأسرته من بعده.

مرّ كإخوانه على معتقلات النظام المجرم، فاعتقل ولقي ما لقي من أزلامه، وعاش حياة المطاردة والتخفي زمنا، وفقد من أحبابه وإخوانه الكثير ممن غيبوا في السجون أو استشهدوا، وقد حرص على توثيق ذكريات تلك الأيام في رواية مطبوعة حملت اسم «خطوات في الليل».

وعرف عنه مبدأ «المسايرة» بين إخوانه، فيقولون عن ذلك أنه لا يكاد يعرف الخصومة، فضلا عن اللدد فيها، وهو مع حميته للحق والصواب يظل الأقدر على أن يشعرك عندما يحتدم الحوار أنه غير محتد ولا منفعل. كان رحمه الله دائم الحمد والشكر، مواظبا على أذكاره، فتسمعه يعيد بعض الآيات حين تستوقفه، وتشعر أنه يتأملها ويتفكر فيها.

وكان كلما وجد فسحة من الوقت بعيدا عن مشاغله، فزع إلى كتبه وأوراقه، وبدأ بالكتابة أو وضع الملاحظات، لكن سرعان ما كانت تأخذه زحمة جديدة من العمل، فيعطي الأولوية للواجبات دائما. ولا زال حاله كذلك حتى آخر أيامه.

عاش الحسناوي حياة بسيطة بعيدة عن التكلف، يحب الجمال، ويطرب لسماع النشيد، ويعرفه إخوانه من ضحكته المميزة إذا تسامروا، وكان رقيق الإحساس سريع الدمع، متفاعلا مع هموم المسلمين في كل مكان يكتب مقالات وشعراً لـ(فلسطين، والعراق، ولبنان، وأفغانستان، والبوسنة) وغيرها.

قدرت له المعاناة مع مرض الفشل الكلوي أكثر من ثلاث سنوات قبل وفاته، وكان منظره لافتا بين المرضى على أسرة العلاج، فتراه ممسكا بعض أوراق أو كتاب ونظارته على عينيه يقلب ما بين يديه أو يكتب، فإن غلبه المرض وألم العلاج، لجأ إلى تلاوة ما تيسر له من القرآن، وهو موصول بجهاز غسيل الكلى،

وسواه من المرضى بين نائم أو جالس يمضي ساعات جلسة العلاج بالانتظار.

توفي رحمه الله يوم الأحد الرابع عشر من صفر ١٤٢٨هـ الموافق للرابع من آذار ٢٠٠٧، ودفن في الأردن بعد إقامة متنقلة بينه وبين العراق، ووقد قضى جل حياته ينتقل من بيت لآخر ومن بلد لآخر كنوع من الضريبة التي فرضتها الغربة على إخوان سورية.

تحدث عنه وعن حياته ودوره في الأدب الإسلامي بعض المراجع مثل: «شعراء الدعوة الإسلامية» لأحمد الجدع وحسني أدهم جرار، و»دواوين الشعر الإسلامي» لأحمد الجدع، و»شعراء وأدباء على المنهج الإسلامي» لمحمد عادل الهاشمي، و»محاولات جديدة في النقد الإسلامي» لعماد الدين خليل، و»في الأدب الإسلامي المعاصر» لمحمد حسن بريغش، و»في جماليات الأدب الإسلامي» لسعد أبو الرضا، و»الشعر السوري في شعر أعلامه» لأحمد بسام ساعي، و»القصص الإسلامي المعاصر» ليحيى حاج يحيى، وغيرها.

كما ترك دواوين شعرية عدة منها «في غيابة الجب» و»عودة الغائب» و»ربيع الوحدة» و»ملحمة النور». إضافة إلى مجموعات قصصية منها «الحلبة والمرآة» و»بين القصر والقلعة» و»بلاد النوابغ». ومن آخر قصائده التي نظمها شوقا إلى وطنه سورية الذي قدر له أن يموت مغتربا عنه مشتاقا إليه وإلى مدينة حلب قصيدة بعنوان «هل من عود إلى حلب» قال فيها :

كلُّ الطيورِ إلى أعشاشِها انقلبَتْ
إلا مُعنَّى، كسير القلبِ، ما انقلبا
قالوا : تَعَزَّ، وأبناءُ البُغاثِ بها
يَستَنْسِرونَ، وما كانوا لها نَسَبا
قالوا: تَعَزَّ، بلادُ اللهِ واسعةٌ،
لا بارَكَ اللهُ فيمنْ حَبَّبَ الغُرَبا
أهلٌ وودٌ كماءِ الوردِ مُنسَكِبٌ
وأَطيَبُ الودِّ ما أَهدى وما انسكبا
يا ليلةً من ليالي الشامِ أَذكرُها
ذِكرَ المَيامينِ.. مجداً تالِداً وأبا
يا عصبةً في ديارِ الشامِ راتِعَةً
ما أَقبحَ الغدرَ والتَّزييفَ إن غَلَبا
يا رُقعةً من خيوطِ المكرِ قد نُسِجتْ
نسجَ العناكِبِ في أقداسِنا العَطَبا
الشامُ عرباءُ لم تَسلَمْ لِطاغيةٍ
إلا لِتَنثُرَهُ مثلَ التُّرابِ هَبا
سَيُهزَمُ الجمعُ ، لا شكٌّ ولا رِيَبٌ
سَيُهزَمُ الجمعُ، طالَ العهدُ أم كَرَبا

دعوة للقراءة

خطوات في الليل

:: رواية للشاعر الأديب محمد الحسناوي

عُرف عن الأستاذ محمد الحسناوي بأنه شاعر مميز له طابعه الخاص وكلماته الحافلة بالصور الفنية، كما أنه كتب القصة القصيرة أيضاً ولم تخلُ قصصه من أسلوبه الشعري ذاته. وهنا، لن نعرض له قصة أو شعراً، بل سنعرض له روايته الوحيدة التي اعتبرها النقاد نوعاً من السيرة الذاتية.

يقول الناقد الدكتور حلمي القاعود: «وروايته «خطوات في الليل»، تبدو لي نوعاً من رواية السيرة الذاتية، حيث تتطابق ملامح بطلها الرئيس مع ملامح المؤلف وتجربته الإنسانية في واقع الحياة، وميزة هذا النوع أنه يمكّن الكاتب من تناول الأحداث والأشخاص بصورة تبعد عنه الحرج المباشر».

وحول موضوع الرواية، قال الدكتور حلمي: «إن رواية «خطوات في الليل» تصور بأسلوبها الخاص، محنة أعداد غفيرة من أبناء الوطن في بلد عربي، اضطروا للهرب من بلدهم، والوقوع في قبضة الشرطة التي تتبع بلداً عربياً آخر، ومن خلال وجودهم في زنازين السجن بهذا البلد نتعرف على ما جرى ويجري في البلد الأول، وندرك حجم المأساة التي أصابت الأمة، وما زالت تدفع ثمنها مضاعفاً حتى اليوم.

لا تخضع الرواية للتقسيم الروائي المألوف، فصول أو فقرات مرقمة أو نحو ذلك، ولكنها تبدأ بوثائق رسمية تتلوها مذكرات، ثم أيام وليالٍ تجرى من خلالها الوقائع، مما يجعل القارئ يقتنع بواقعية الرواية».

من الرواية:

الليلة الأولى

مساء يوم الأربعاء ٤ حزيران ١٩٨٠

أغلق باب الزنزانة رقم ١٣ على المعتقل الجديد حسان الربيعي (واسمه الحركي حامد أبو الفضل). جال حسان بنظره في ظلام الزنزانة الذي لا تؤثر فيه أشعة متلصصة من تحت الباب الحديدي المحكم، ولا ارتجاف النجوم في سماء الأفق البعيد عبر الكوة المرتفعة في صدر الزنزانة. خلال ثوان أحس الضيف الجديد بأن هناك شريكا له في الزنزانة، وهو الآن يغط في نوم عميق.

- أهو سجين مثلي أم فخ؟ فلأكن حذراً على كل حال.

مما يرهق حسان أن عملية المداهمة فالاعتقال وقعت بعد يوم عمل شاق، وقبل أن ينال جرعة من نوم يؤهله لتلقي الصدمات، والتعامل مع المفاجآت بطمأنينة كافية.

فتح باب الزنزانة فجأة. أطل الحارس الأسود الضخم. قذف للضيف الجديد بفراش اسفنجي عسكري ضيق وبطانيتين. ثم أغلق الباب، وأعاد المزلاج، وأحكم القفل بسرعة.

- يبدو أن الفجر لم يطلع بعد. فلأدرك صلاة الصبح قبل فوات الأوان. بسط حسان البطانية. بدأ يخمن جهة القبلة. تنحنح الشريك النائم وسأل: ماذا تصنع؟

- عفواً. أريد أن أصلي. أين القبلة؟

- نحو الزاوية البعيدة (أجاب بصوت أجش).

طوال صلاته كان حسان يستبعد في ذهنه أحداث هذه الليلة.

بين النائم والمستيقظ كان حسان يتردد في تصديق ما وقع له في هذه الليلة:

إنه الآن يحس بعينيه ظلام الزنزانة ويسمع بأذنيه اصطكاك الأبواب الحديدية والأقفال. ونحنحات السجناء وسعالهم استعداداً للاستيقاظ. مع ذلك لا يصدق بأنه فوجئ بعد ساعة من نومه بقرع شديد على باب بيته وجرس بابه وأصوات جمع تنادي: (افتح. افتح)

- هل أطبقت السماوات على الأرض. ما هذه الضجة الرهيبة. أين أنا؟

يمكنك قراءة رواية (طاحون الشياطين) و (خطوات في الليل) على موقع رابطة أدباء الشام www.odabasham.net

facebook

مجد مكي

* ما أصعب أن تنظر إلى عبيد النظام فترى في عيونهم إيماناً بانتصار باطلهم لا يتزعزع، وتنظر إلى «بعض» أهل الثورة فترى في قلوبهم يأساً لا شفاء له.
* إنّ قوماً يسحرهم نصف الكأس الفارغ فيعميهم عن رؤية نصفها الملآن، وما يزال الماء يُصَبّ فيها حتى يملأ ثلثيها، فتتجمد عيونهم على الثلث الفارغ

أنس مراد

«إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون»
هذه الآية الوحيدة في القرآن التي يصف بها الله تعالى قسماً من بني الإنس بالدواب (أي التي تدب على الأرض) وتلك إشارة واضحة بأن الإنسان الذي لا يصدح بالحق ولا يسمع الحق ويأخذ به هو في الحقيقة «دابة» وينتمي لفصيلة البهائم.

عبد اللّه زنجير

هناك كلمات تكتب بالأصابع ، و أخرى تكتب بالقلوب ..
الأولى تذوب في السطور و الثانية في الصدور !
اكتبوا بقلوبكم .. اكتبوا بقلوبكم .. يا رحمكم الله

د. أبو أنس بانياس

أخلصوها لله فهو الذي ينفعنا فقط ولا أحد سواه..
دعوا الحكام وأكاذيبهم، والمنافقين وادعاءاتهم
وتوكلوا على الله القوي المتين..
أعدوا ما استطعتم ثم قولوا يا رب.. بصدق وعزيمة
ولا تعتمدوا إلا على الله وحده فهو القائل: «ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض»، «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم».. صدق الله العظيم

عمر مشوح

ربما استطعنا هدم كيان الاستبداد وكسر قيوده.. لكن ما زالت هناك بعض الخلايا الاستبدادية المنتشرة في داخلنا.. تحتاج إلى ثورة أخرى ومن نوع خاص حتى نستأصلها تماما لكي لا تعود للنمو خارج أجسادنا!

فيض الذاكرة..

مع أبي الخير

أ. سليم عبد القادر "رحمه الله"

:: عبد الكريم اليماني

كنا صغاراً حينئذٍ، في عالم يتسع لأحلامنا الصغيرة، وكان حماسنا يعلو ويشتد حين ننشد:

الطير شدا من طلعتنا... وتسامى الكون برايتنا
والنجم هفا شوقاً ورنا... لوجوه الركب تشع سنا

كنا نعبث بالألوان، نتعلم سحر النغمات.. وكانت كلماتك تجري على لسان طفولتنا ماءً رقراقاً:

يا رب يا رحمن .. يا مبدع الأكوانْ
إليك قلباً .. يذوب حباً
بالنور والإيمانْ
الكون في نجواه .. ناداك يا رباه

كبرنا، واشتد عودنا، وعلت هاماتنا، وكنت معنا.. بحروفك الوضاءة:

كن مسلماً .. وكفاك بين الناس فخرا
كن مسلماً .. وكفاك عند الله ذخرا
فإذا حييت ملأت هذي الأرض يشرا
وإذا قضيت عرفت كيف تموت حرّا

ملأت كلماتك القلوب، وكانت ترافقنا في حقائب المدرسة، وكتب الجامعة، مع إشراقة شمس كل يوم:

بإسلامي وإيماني .. أضاء الكون والزمنُ
يحب الكون ألحاني .. فألحاني له سكنُ

وقبل أن تغربَ الشمس، كنا نترنم على أنغام الشفق الممتد على خاصرة السماء:

أنا مسلم لن أستكينا .. أبداً ولن أخشى المنونا
وعلى اتباع الحق دوماً .. أقسمت لله اليمينا

واليوم.. نعيد مع فلذات أكبادنا تلك الدورة، نلهمهم الهمة من حُرّ حرفك:

ومن عزمنا تستقي الكبرياء .. كؤوس الشموخ وسر الإباءْ
وليس غناء الطيور سوى .. صدى صوتنا العبقري الرخيمْ

وستبقى ذاك النجم الساطع الذي علمنا كيف نتفانى في خدمة الاسلام.

مجاهد ..

سليم عبد القادر

مـاضٍ، وأعـرف مـا دربـي ومـا هدفـي
والمـوتُ يرقـصُ لـي فـي كلِّ مُنعطَفِ

ومـا أبالـي بـه حتـى أحـاذرَه
فخشـيةُ المـوتِ عنـدي أبـرَدُ الطُّـرَفِ

ولا أبالـي بأشـواكٍ ولا مِحَـنٍ
على طريقي وبي عزمي، ولي شَغفي

أنـا الحسـامُ، بريـقُ الشـمس فـي طرفٍ
مِنّـي وشـفرة سـيفِ الهنـدِ فـي طرَفِ

ورُبَّ سَـيلُ لُحـونٍ سَـالَ مـن كَلِمـي
ورُبَّ سَـيلُ جَحيـمٍ سَـالَ مـن صُحُفي

أهفـو إلـى جَنّـةِ الفِـردوسِ مُحتَرقًـا
بنـارِ شـوقي إلـى الأفيـاءِ والغُـرَفِ

يـا دَهـرُ! مـاذا مـن الأيـام أطمـعُ فـي
سُعودهنَّ؟ ومـا فيهـنَّ يَطمـعُ فـي؟!

مَضَى الذين شغافُ القلب يعشقهم
مـن الأحبـة، مـن حولـي، فـوا لهفـي!

وصِـرتُ حقـلَ هشـيمٍ غُربـة وأسًـى
يجتاحنـي شـررُ التحنـانِ والأسـفِ

وا حـرَّ شـوقي إليهـم كُلّمـا هَجَسَـتْ
نفسـي، ونفسي بهم مجنونة الكَلَفِ

إنـي سـئمتُ هـوى الدنيـا وزهرَتَهـا
ومَـلَّ قلبـي ذُرى رَوضاتهـا الأُنُـفِ

وقـد بلـوتُ لياليهـا وأنهرهـا
فتًـى، وحُـزتُ لآليهـا مـن الصَّـدَفِ

فلـم أجـدْ غيـرَ دربِ اللّهِ دربَ هـدًى
وغيـرَ ينبوعـه نبعـاً لمغتـرِفِ

فطِـرتُ أسـعى إليـه أبتغـي تلفـي
بـه، ورُبَّ خُلـودٍ كان فـي تلـفِ

والنـاسُ تصـرخُ: أجحم، والوغى نشبتْ
واللّه يهتـف بـي: أقـدِم ولا تخـفِ

مـاضٍ، فلـو كنتُ وحـدي والدنـا صرختْ
بي: قِفْ، لسـرتُ فلـم أبطئ ولم أقِفِ

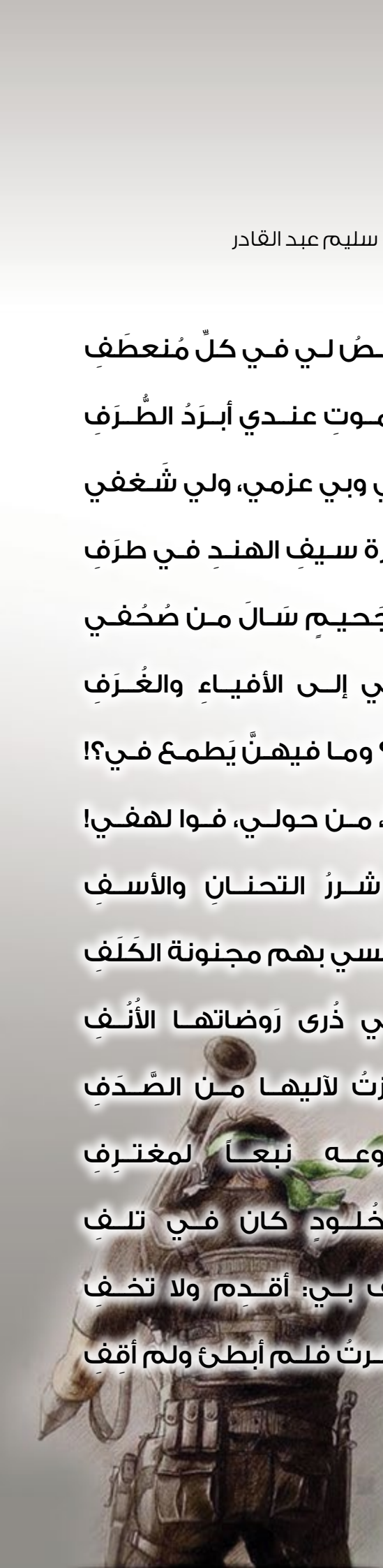

هم يعشقون الموت !

:: ظلال إبراهيم

خـــذوني إليهـــا خـــذوني خـــذوني!
وفي تربهـــا المخمـــليِّ ازرعـــوني!

لعـــلّ دمـــاءَ الشهيـــدِ تـــُرَوِّي
عروقـــي! فتَنْبُـــتَ ورداً شـــجوني!

لعـــلي أشـــمُّ عَبـــوقَ الشـــهيد
فيرتـــاحُ قلبـــي وتغفـــو جـــفوني!

لعـــلي أرى مقلـــةً في الظـــلا
مِ تفتِّـــحُ حُلْـــماً .. فتـــزهـــو غصـــوني!

خـــذوني إليهـــا لأرشـــفَ حُبًّـــا
وأحظـــى بقـــبلةِ مـــن أَرجـــعوني

خـــذوني إليهـــا لأرســـمَ زهـــراً
يداعـــب أجفـــانَ طـــفلٍ حـــزينِ

خـــذوني إليهـــا لأُشـــعلَ نـــورا
يزيـــح عـــن القلـــبِ وهـــنَ السنـــينِ

أحِـــنُّ إليهـــا.. أحِـــنُّ عليهـــا
ومـــا بـــين ذاكَ الحنـــينِ دعـــوني!

دعـــوني أبـــثُّ دمـــوعَ الفـــؤا
دِ ودمـــعُ الفـــؤادِ جـــرى مـــن عـــيوني

أنـــا مـــن طـــوى في الســـنين العجـــا
ف ليرنـــوا إلى الفجـــر مـــن بعـــد حـــينِ

خـــذوني إليـــها لألثـــمَ تربـــاً
حكـــى قصـــةً حـــول طفـــلٍ سجـــينِ!

تجـــرَّعَ في الســـجن كأس العـــذا
بِ وذاق مـــن الويـــــل طعـــم المَنـــونِ

وبـــين الأنـــينِ يـــرنُّ بســـمعي
صراخٌ يُـــدَوِّي يقـــول: اقتلونـــي!

فتســـموا إلى الله روحٌ تناهـــت
ويـــشرقُ نـــوراً ضيـــاءُ الجبيـــنِ

وعـــين الـــبراءة تبـــدو كفجـــرٍ
تفتَّـــقَ في وجـــه صبـــحٍ رزيـــنِ

وأمّ تلملـــمُ أشـــلاء ابـــنٍ
تمـــزَّق عنـــد انتظـــار الطحـــينِ

وتحـــت الســـياطِ يـــذوبُ شـــبابٌ
فيرقـــى مـــع الـــروح صـــوت الأنـــين!

هـــمُ النـــصرُ صاغـــوهُ مجـــداً عتيـــداً
وصانـــوا حِمـــاهُ كأسْـــدِ العريـــنِ

شـــآم لمجـــدكِ أعشـــق موتـــاً
يزلـــزل أربـــابَ حقـــدٍ دفـــينِ

عشـــقت ترابـــك دهـــرا طويـــلا
وبِـــتُّ لعشـــقِيَ ذا في يقـــينِ

لـــذاك بذلـــتُ دمائـــي وروحـــي
وصُغـــتُ لأجلـــكِ فيـــضَ المتـــونِ

وأقســـمتُ ألاّ أبـــارحَ أرضي
لأحفـــظ ديـــني بحصـــنٍ حصـــينِ

وأرجـــعَ مجـــدَ الشـــآمِ عزيـــزا
قويـــاًّ عتيـــداً بعـــزٍّ مكيـــنِ

فـــإن جـــفَّ منـــي الوريـــدُ وأمســـى
يَراعـــي ضعيفًـــا وغاضَـــتْ فنـــوني

أكـــونُ رويـــتُ شَـــغافي وقلبـــي
وعشـــتُ لـــربِّي ومـــتُّ لديـــني

وهـــذي مُنـــايَ وجنَّـــةُ قلبـــي
وبســـتانُ نفـــسي.. وسِرُّ حنينـــي

خـــذوني إليهـــا ليَـــبرَأَ جرحـــي
وبـــينَ صليـــلِ الســـيوفِ اتركـــوني

وقولـــوا لأرضِ الشـــآمِ خذيـــهِ
وفي تُربهـــا المُخْمَـــلِيِّ ادفنـــوني!!

شـــآم.. ســـأحيا عزيـــزاً ولكـــن
لعـــينِ الشـــآم تهـــونُ عيـــوني

فيـــا ربِّ عجِّـــل بنـــصرٍ مبـــينٍ
فنـــصركَ آتٍ بـــكافٍ ونـــونِ!

إلى روح أبي الخير

يا فارسَ الشعرِ خيــلُ الشعرِ هائجةٌ
صهيلُها يبعـــــثُ الأشجــانَ والفزعا
وفي فؤاديَ أحزانٌ لو انسكبـــــتْ
على الضلوعِ لذابتْ بالأســـــى جَزَعا
أشكو إلى اللّه جرحَ الأمنيات ومـــا
أصابها عندما ناعــي الفراق نعـــى
ارحل أبا الخير، هل تدري القبـــور بما
ضمّتْ، وأيَّ فتًى في صــدرها هَجعا
و أيَّ فِكـــرٍ و أَخـــلاقٍ و مَكرُمـــةٍ
وأيَّ صِـــــدقٍ على الأخشابِ قد رُفِعا
لا لستُ أبكيك يا شيخَ القصيد ومن
يَبكـــي مُحبًا إلى مَحبُوبـــــهِ رَجعا
لكنها غصّـــــــةٌ حاولت أكتمهـــا
فقطعتْ مُهجتي من هَولها قِطعا
تبكي الصقورُ على عِزّ النفوسِ إذا
رأتْ مـــن الجوِّ ذاك البــازَ قد وقعا

معتصم الحريري